مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
العدد التاسع – جوان 2018

.OEB Univ. Publish. Co

دور الإبتكارات المالية في حفظ تماسك الصناعة المالية الإسلامية

The role of financial innovation in maintaining the coherence of the Islamic financial industry

سهام بوداب،جامعة أم البواقي،الجزائر.

angel-siham90@hotmail.fr

تاريخ التسليم:(2018/03/24)، تاريخ التقييم:(2018/04/11)،تاريخ القبول:(2018/05/18)

ملخص :

تحظى الهندسة المالية باهتمام بالغ من قبل المؤسسات المالية لدورها الأساسي في ابتكار وتطوير المنتجات المالية التي تحتاجها هذه المؤسسات، وتحافظ على ديمومة نموها وزيادة تنافسيتها فضلا عن بقائها في السوق.

وفي إطار مواجهة تحديات الأنشطة المتنوعة و المتزايدة في بيئة تنافسية شرسة من المؤسسات المالية التقليدية، فقدّ طورت المؤسسات المالية الإسلامية من آليات عملها، وبدلاً من الاعتماد على صيغة تمويلية واستثمارية محدودة، صارت الآن تطبق حلولا مالية مبتكرة، فيما يعرف بعمليات الهندسة المالية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الإبتكار المالي،الهندسة المالية الإسلامية،البنوك الإسلامية،الأدوات والمنتجات المالية الاسلامية، مشاكل التمويل.

Abstract :

Financial engineering receivesa great interest by financial institutions for its fundamental role in creating and developing the financial products that these institutions need, and in order to maintain the sustainability of their growth and increase their competitiveness as well as its survival in the market.

Facedwith the challenges of diverse and growingactivities in a Facedwith the challenges of diverse and growingactivities in a challenging competitive en vironment fromtra ditional financial institutions, Islamic financial institutions have evolved fromtheir business mechanisms. Instead of relying on a limited funding and investment formula, they are nowapply inginnovativefinancial solutions, known as Islamic finance processes.

Key words: the financial innovation, the Islamic financial engineering, the Islamic banks, the Islamic financialin struments and products, financing problems.

مقدمة:

تعد دراسة الابتكار المالي كأحد أهم أدوات التمويل الحديثة في الاقتصاد أكثر من ضرورة في الوقت الراهن، من خلال دورها الفعال في تغطية مخاطر التعامل في السوق المالي وأداة تنويع في المحفظة المالية للمستثمر هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعد الإبتكار والتطوير من عوامل الديمومة والبقاء في أسواق مفتوحة وحرة تشهد تنافسا حادا على المستوى المحلي والدولي.والاقتصاد الإسلامي ليس بعيدا ولا يرفض التعامل بمثل هذه الأدوات، فالصناعة المالية الإسلامية كونها صناعة ناشئة بالمقارنة بنظيرتها التقليدية تعد في أمس الحاجة إلى عمليات التطوير والابتكار لمنتجات مالية إسلامية أصيلة تحافظ على هوية الصناعة وتجنبها إشكالات التقليد، تتميز بالمرونة المناسبة للاستجابة لمتغيرات البيئة الاقتصادية. ويستدعي ذلك بالضرورة تطوير أدوات مالية إسلامية مستحدثة تضمن لها حصة سوقية تساعدها على الاستمرار بفعالية.

لكن المتتبع لمسار البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية يجد أنها همشت هذا الوظيفة من ناحيتها التطبيقية، وهو ما أفقدها تميزها عن غيرها من المؤسسات المالية والبنوك، وحد من قدرتها على تحقيق أهدافها التنموية والاقتصادية، لذلك وحتى تحافظ المؤسسات المالية الإسلامية على هويتها وتقوم بدورها التنموي يجب أن تطور من أدواتها وصيغ المشاركات عند قيامها بوظيفتها التمويلية، وهو ما يجعل من عصرنة الهندسة المالية ضرورة ملحة لهذه المؤسسات من أجل ابتكار حلول تجمع بين ضوابط الشريعة الإسلامية واعتبارات الكفاءة الاقتصادية.

أولا: مفهوم الابتكار والهندسة المالية في البنوك الإسلامية

1- تعريف الابتكار والهندسة المالية الإسلامية: عموما يمكن سرد أهم التعاريف على النحو الآتي:

التعريف الأول: الهندسة المالية هي تصميم وتطوير وتطبيق عمليات وأدوات مالية مستحدثة، وتقديم حلول خلاقة ومبدعة للمشكلات الاقتصادية والمالية. ولا يقتصر دورها على المنتجات الجديدة فحسب، بل يمتد كذلك إلى محاولات تطويع أدوات وأفكار قديمة لخدمة أهداف منشآت الأعمال(غردة، 2014، ص ص:20-21).

التعريف الثاني: وتعرف الهندسة المالية أيضا بأنها: عملية خلق أدوات وخدمات جديدة من قبل مؤسسات الصناعة المالية، وذلك من أجل تلبية الإحتياجات المختلفة للعملاء من مستثمرين خواص ومؤسسات تحتاج للتمويل للدخول في عمليات الإندماج أو تملك مؤسسات أخرى(لعمش، 2011،ص:64).

التعريف الثالث: أما حسب الرابطة الدولة للمهندسين الماليين(IAFE)، فإن الهندسة المالية هي تطبيق الطرق الرياضية لإيجاد حلول لمشاكل التمويل، وتعرف أيضا بالرياضيات المالية والتمويل

الرياضي والتمويل الحسابي، حيث يوظف المهندسون الماليون لدى كل من بنوك الاستثمار والبنوك التجارية وصناديق التحوط وشركات التأمين وكل هذه الشركات تطبق أساليب الهندسة المالية لحل مشاكل مثل تطوير المنتجات الجديدة وتقييم مشتقات الأوراق المالية وهيكلة المحافظ الاستثمارية وإدارة المخاطر(بوعكاز،2010- 2011، ص: 22).

أما عن التعاريف التي تخص الهندسة المالية من المنظور الإسلامي فهي لا تختلف عن التعريفات السابقة، إلا في كونها تشترط ضرورة أن يكون ما تتضمنه الهندسة المالية من إبداع وابتكار موافقا للشريعة الإسلامية، وهذا حسب وجهات نظر الباحثين الذين يطورون النماذج والنظريات، أو مصممي المنتجات المالية في المؤسسات المالية أو بالأسواق المالية. ولذلك فإن مجمل التعريفات التي جاءت بهذا الصدد عرفت الهندسة المالية الإسلامية على أنها: مجموعة الأنشطة التي تتضمن عمليات التصميم، والتطوير، والتنفيذ،لأدوات وآليات مالية مبتكرة، بالإضافة إلى صياغة حلول إبداعية لمشاكل التمويل وكل ذلك في إطار توجيهات الشرع الإسلامي(غردة، 2014، ص ص: 20-21).

ويمكن القول أن هناك صعوبة في تقديم تعريف محدد للهندسة المالية الإسلامية لأن جل التعاريف التي خصتها اقترنت بتعاريف الهندسة المالية التقليدية، بالإضافة إلى ارتباط كل منهما بالآخر سواء من حيث النشأة أو الخصائص والمبادئ. لذا من الضروري إيجاد تعريف شامل وواضح للهندسة المالية الإسلامية، ولا شك أن لذلك دورا مزدوجا: علميا وتطبيقيا، أما من الناحية العلمية فإن ذلك مما يساعد على استكمال المنظومة المعرفية للصناعة المالية الإسلامية التي لا تزال بحاجة ماسة إلى إثرائها . خاصة بمصطلحات المالية المعاصرة – حتى تواكب كل التطورات العلمية التي تحدث في هذا المجال. وأما من الناحية التطبيقية، فإن وضع تعريف شامل للهندسة المالية الإسلامية يعني وضع الأسس التي يمكن من خلالها ابتكار وتطوير المنتجات المالية الإسلامية الأصيلة وغير المستنسخة عن المنتجات التقليدية من جهة، وإغلاق الباب أمام الوالجين للصناعة المالية الإسلامية من خلال الحيل الربوية، من جهة أخرى. وهذا كله يساعد على تلبية الحاجات التمويلية (للأفراد والمؤسسات وحتى الحكومات) المتزايدة باطراد، كل ذلك في إطار الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية.

ويمكن أن نخلص بتعريف شامل للهندسة المالية الإسلامية بأنها: مجموعة الأنشطة التي تتضمن عمليات التصميم والتطوير والابتكار والتنفيذ لكل الأدوات المالية والنقدية والعمليات المالية المبتكرة، وما يلازمها من صياغة للمبادئ والأساليب اللازمة لتطوير حلول مالية ابداعية لمشاكل التمويل، واستغلال الفرص، وكل ذلك في إطار محددات وموجهات الشرع الإسلامي، الذي يشترط مبدأ المشاركة في تنشيط العمليات المالية المشروعة، بهدف مقابلة الحاجات التمويلية الجديدة، والتي من شأنها أن تحقق الرفاه الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

2- أسس وضوابط الابتكار المالي في البنوك و المؤسسات المالية الإسلامية: ويستند الابتكار المالي في البنوك الإسلامية إلى مجموعة من الأسس والقواعد والتي تمثل في خمسة ضوابط رئيسية، وهي (بن ابراهيم،2014، ص ص: 6- 7):

أ- الاستناد إلى العقيدة الإسلامية: يتمثل الأساس العامال ذي تقوم عليها لمنتجات المصرفية الإسلامية في مراعاة ما شرعه الله سبحانه وتعالى في المعاملات، بإحلال ما أحله وتحريم ما حرمه .

ب- استبعاد الفوائد الربوية:إن الركيزة الأولى التي يبنى عليها الاقتصاد الإسلامي ومن ثم البنوك الإسلامية وبالتالي الابتكار المالي هي تحريم الربا؛ فهي شرط أساسي وضروري في المعاملات المالية القائمة والمستحدثة.

ج- تجنب التعامل بالجهالة والغرر:إن تحري الحلال في التمويل والاستثمار في البنوك الإسلامية يهدف للتأكد من تحصيل المال تحصيلا شرعيا، واستخدامه استخداما خال من أي محظور شرعي وفق الأوامر والنواهي التي تحدد معالم الاقتصاد الإسلامي.

د- الأخذ بمبدأ المشاركة في الربح والخسارة: إن الأساس الذي تبنى عليه عملية تطوير آليات تمويلية جديدة أو ابتكار صيغ وأدوات مصرفية إسلامية حديثة هو المبدأ العامل عمل البنوك الإسلامية نفسها، وتستند هذه الآلية إلى قاعدة الخراج بالضمان، وقاعدة الغنم بالغرم، ويقصد بهاتين القاعدتين، أن الحصول على المنفعة أو المكسب (العائد أو الربح) يكون بقدر الاستعداد لتحمل الخسارة.

3- خصائص الهندسة المالية الإسلامية: تتميز الهندسة المالية الإسلامية وتنفرد بخاصيتين ندرجهما فيما يلي (لعمش،2011، ص ص: 90- 91):

- المصداقية الشرعية: يقصد بالمصداقية الشرعية توافق منتجات الهندسة المالية مع أحكام الشريعة الإسلامية مع تجنب الخلافات الفقهية حول المنتج.

- الكفاءة الاقتصادية: إن المقصود من الكفاءة الاقتصادية هو تلبية احتياجات المتعاملين بأقل تكلفة ممكنة.

4- مبادئ الهندسة المالية الإسلامية: لقد تم تحديد مبادئ الهندسة المالية الإسلاميةفي أربعة مبادئوذلك كما يلي (سلطان، 2015):

- مبدأ التوازن: المقصود من هذا المبدأ هو التوازن بين مختلف الحوافز الإنسانية، سواء ما يخص المصالح الشخصية وما يخص المصالح الاجتماعية، فالشريعة الإسلامية نجحت في تحقيق التوازن بين مختلف الحاجات والرغبات ووضعت الكل في الإطار المناسب.

– مبدأ التكامل: وهو المبدأ الذي يحكم تطوير المنتجات المالية؛ حيث يتمثل في التكامل بين المصالح الشخصية مع الاعتبارات الموضوعية، بين تفضيلات الزمن والمخاطرة وبين توليد الثروة الحقيقية.

– مبدأ الحِل: هذا المبدأ ينطلق من قاعدة أن الأصل في المعاملات الحل والجواز، إلا إذا خالفت نصا أو قاعدة شرعية. وبناء على هذا فإن قاعدة الحل هي الأساس للابتكار المالي.

– مبدأ المناسبة: المراد بالمناسبة هنا تناسب العقد مع الهدف المقصود منه، وهذا مدلول القاعدة الفقهية، العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

5- الهندسة المالية الإسلامية وتميزها عن التقليدية: لا يختلف مفهوم الهندسة المالية الإسلامية عن التقليدية من حيث الجوهر وهو الحث على الابتكار والاعتماد عليه لتوليد قنوات وأدوات جديدة تناسب التغيرات السريعة في الأسواق المالية العالمية بينما يختلف عنها من حيث الوسيلة والغاية والأهداف.

تشترك الهندسة المالية الإسلامية والتقليدية في أن كلتيهما تعني الابتكار والتطوير والبحث عن حلول إبداعية لمشكلات التمويل. غير أن الهندسة المالية التقليدية لا تنضبط بضوابط وليس لها حدود، وبينت بعض الدراسات التطبيقية أنها غالبا ما كانت سببا في الأزمات المالية التي يعرفها العالم وأنها تزيد من حدة هذه الأزمات، لدرجة أن سماها بعض الكتاب الغربيين: عبثا ماليا بدلا من هندسة مالية. فهي لا تفرق بين المصالح الجزئية والمصالح الكلية، وبين مصالح جماعات الضغط والمصالح العامة.

على العكس من ذلك، فإن الهندسة المالية الإسلامية لن تكون بأي حال إسلامية إن لم تلتزم بالضوابط الشرعية، وهو ما ينتج عنه أن تكون الهندسة المالية الإسلامية أكثر انضباطا وآثارها إيجابية على جميع الأطراف بسبب انضباط الأحكام الشرعية وتناسقها، ومن الواضح أن الاختلاف هنا جوهري(عبد الكريم، 2010).

ثانيا: أهمية الابتكارات المالية الإسلامية ودوافع وجودها وأهم تحديات تطبيقها

1- الأهمية العلمية والعملية للإبتكارات المالية الإسلامية:

1- 1- الأهمية العلمية للهندسة المالية **الإسلامية:** يمكن إيجاز الأهمية العلمية فيما يلي (عمر، 2013، ص:563):

– يؤدي البحث والتطوير اللذان هما موضوع الهندسة المالية إلى استكمال المنظومة المعرفية للاقتصاد الإسلامي ومواكبته للتطورات الحاصلة في العلوم المالية.

– يساعد وجود علم للهندسة المالية الإسلامية في إيجاد الكوادر الإدارية التي يتطلبها العمل المصرفي الإسلامي، والتي تجمع بين المعرفة الشرعية والخبرة المصرفية الإسلامية.

– أن الأصل في المعاملات الإباحة، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة منصور المعاملات المستحدثة حتى يتبين أن الشريعة قد حرمتها.

– أن العبرة في المعاملات المالية للعلل والمقاصد حيث أن أحكام فقه المعاملات معللة وعللها مرتبطة بالحكم الشرعي وجودا وعدما بعكس فقه العبادات التي يجب التوقف فيها عند حدود النص.

– أن الإسلام لم ينشئ العقود المالية، وإنما وجهها الوجهة الصحيحة عن طريق تنقيتها من المحرمات وتشريع الأحكام العامة وتقرير القواعد الكلية المنظمة لها.

1- 2- الأهمية العملية للابتكارات المالية الإسلامية

يمكن إيجاز الأهمية العملية فيما يلي (ساوس، 2014، ص:48):

– معظم الأدوات التمويلية الموجودة هي تلك التي تم تطويرها منذ قرون مضت، وقد كانت تفي بحاجات المجتمعات آنذاك، والتي لا تلبي حاجات المجتمعات الآن، وهو ما يتطلب إيجاد ما يلبي تلك الحاجات التمويلية في إطار الالتزام بالحلال.

– الاستفادة من التطورات التي تشهدها الأسواق العالمية ومحاولة الاستفادة منها بدلا من اتخاذ مواقف حيادية تجاهها.

– ضمان استمرارية النظام المالي الإسلامي ككل مع استفادة كل أجزائه مع الحفاظ في ذات الوقت على أصالته من خلال الالتزام بالضوابط الشرعية التي تقوم مسيرته.

– رفع الحرج والمشقة عن الجمهور المتعاملين من المسلمين الذين يتعاملون بالعقود المالية بمستجداتها الحديثة، وحتى يكون للفقه الإسلامي حضور قوى على الساحة.

– طبيعة عمل المؤسسات التي تقوم بإجراء العقود المالية: وخاصة العمل المصرفي الذي يعمل وفق نموذج الوساطة المالية بآلياتها المختلفة، فكثير من العقود المالية التقليدية لا يمكن للمصارف التعامل معها إلا باستحداث مستجدات ملحقة بها أو أفكار جديدة تمكنها من أن تكون عملية قابلة للتطبيق.

2- أسباب الابتكار المالي في البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية: تبرز الحاجة إلى البحث عن حلول مالية إسلامية من عدة جوانب نوردها فيما يلي:

أ- انضباط قواعد الشريعة الإسلامية:إن قواعد الشريعة الإسلامية الخاصة بالتبادل، وإن كانت معدودة، لكنها منضبطة ومحددة، وعليه فإن قبول التعاملات التي تلبي احتياجات الناس بصورة كفؤة اقتصاديا يظلم رهونا بعدم منافاته لهذه القواعد. واستيفاء هذا الشرط قد لا يكون عسيرا، لكنه بحاجة إلى استيعاب للقواعد والمقاصد الشرعية، وفي نفس الوقت إدراك وتقدير لاحتياجات الناس الاقتصادية (عبد الكريم،2007، ص:26).

ب- تطور المعاملات المالية:لابد لمن يدرس فقه المعاملات المعاصرة أن يميز بين الثابت والمتطور، وأن ينظر إلى التكييف الشرعي للصور المستحدثة حتى يمكن بيان الحكم الشرعي، ومن ثم إيجاد البدائل إن أمكن ذلك.

ج- المنافسة مع المؤسسات المالية التقليدية:يعد وجود المؤسسات المالية الرأسمالية، ونموها إلى درجة فرض تقدرا كبيرا من التحدي على الاقتصاد الإسلامي، ويترتب على هذه الجوانب صعوبة إيجاد حلول اقتصادية إسلامية قادرة على منافسة البدائل السائدة في الاقتصاد المعاصر، ومن هنا برزت الحاجة لتطوير الهندسة المالية الإسلامية وتأصيلها.

د- مواجهة التحديات التي تواجه المؤسسات المالية الإسلامية:أن التحديات التي تواجه المؤسسات الإسلامية كثيرة ومتشعبة، حيث أثبتت العديد من الدراسات أن أهم تحد تواجهه هو غياب أو ضعف الابتكار المالي الموافق للشريعة بهذه المؤسسات، ومن هنا تبرز ضرورة وأهمية الهندسة المالية(صالح،2012،ص: 229).

3- **تحديات تطبيق الهندسة المالية الإسلامية ومنتجاتها:** فرضت التغيرات الجذرية والسريعة التي شهدها العالم الاقتصادي في الفترة الأخيرة ضغوطا تنافسية حادة وغير متكافئة، خاصة على المؤسسات المالية الإسلامية، انتهت إلى ضرورة ايجاد وسيلة تضمن لها البقاء، وذلك من خلال تقديم منتجات مالية إسلامية قادرة على منافسة المنتجات التقليدية من جهة وعلى تلبية احتياجات البيئة التي.

وقامت فعلا بتبني مفهوم الهندسة المالية الإسلامية، إلا أن مقدرة المؤسسات المالية الإسلامية على تحقيق الاستفادة القصوى من هذا المفهوم متدنية (فتح الرحمن علي، 2002)، لذا فبالرغم من التطور الذي عرفته الهندسة المالية الإسلامية، إلا أنها لازالت دون المستوى المطلوب، ويرجع ذلك إلى مجموعة من التحديات والعقبات التي تعيقها وتحول دون تطورها، ومنها ما يلي:

أ- الافتقار إلى الكفاءات والإطارات المؤهلة: ويتم علاج هذه المشكلة من خلال تنظيم الدورات المتخصصة وورش العمل بالتعاون مع الهيئات الدولية مثل المجلس العام للبنوك الإسلامية، وتحفيز الموظفين على الابتكار(عماري، 2009، ص: 14).

ب- الافتقار إلى البحث والتطوير:أثبتت التقارير السنوية لأكبر 12 مؤسسة مالية إسلامية في منطقة الخليج العربي غياب شبه تام لمخصصات مالية، خاصة بالبحث والتطوير للمنتجات المالية الإسلامية، في الوقت الذي أنفقت فيه 9 بنوك أوروبية ما يزيد عن مليار

هو العميل أو البنك (سامي،2007، ص ص:127- 129).

1- 2- منهج التحوير دولار على عمليات التطوير والبحث.

ج- غياب حقوق الملكية لصاحب فكرة منتج مالي مطور أو جديد:

كقيام المؤسسات المالية بتحمل تكاليف التطوير الباهظة ومخاطر تطبيق المنتج الجديد للتحقق من جدواه، وبعد نجاح هذا المنتج المطور أو المبتكر نجد أن المؤسسات المالية الأخرى تسارع إلى تطبيقه والاستفادة منه، دون تحمل أي مخاطر أو تكاليف.

د- ضعف التنسيق بين الهيئات الشرعية وتوحيد المرجعية الشرعية:

تواجه أعمال المؤسسات المالية الإسلامية تحدي هام وهو ضعف التنسيق فيما بين الهيئات الشرعية وتضارب الفتاوى الفقهية بين الدول الإسلامية وحتى داخل البلد الواحد، لذا على المؤسسات المالية الإسلامية أن تعمل على إيجاد قاعدة علمية مشتركة للاجتهاد الجماعي وتوحيد الفتاوى.

هـ- الخطأ في تحديد الهدف من الهندسة المالية الإسلامية:

تركز الهدف الأساسي من الهندسة المالية الإسلامية في إشباع احتياجات المسلمين أهمل بطريقة أو بأخرى الهدف الجوهري للمنتج المالي والمتمثل في خلق القيمة المضافة، لذا يجب العمل على تصحيح ذلك من خلال الجمع بين الوجهة الدينية والاقتصادية وإشباع احتياجات المسلمين وغير المسلمين (محمد وحنان، 2011، ص ص:656- 657).

و- المصداقية والثقة:هناك من يرى في صناعة التمويل الإسلامي قناة لتمويل الإرهاب وموطن الغسيل الأموال، إضافة إلى المشاكل المتعلقة بضعف المهارات الإدارية والتي تؤثر على مصداقيتها.

ز- المنافسة وكفاءة التكلفة:يمثل هذان العاملان تحديان مهمان للمؤسسات المالية الإسلامية من حيث الخبرة الكبيرة والشبكات الأوسع والحجم الاقتصادي في السوق العالمي للمؤسسات المالية التقليدية، وهي مميزات تنافسية مهمة تتفوق بها التقليدية على الإسلامية. إضافة إلى تكلفة عمليات التشغيل العالية للمعاملات المالية الإسلامية.

ك- التسويق:من غير المستغرب أن نجد إقبالا لمسلمين على المنتجات المالية الإسلامية ضئيلا بسبب عدم فهم الصناعة والافتقار لمعرفة المنتجات، ومن دون تثقيف وتعليم العملاء بمبادئ وآلية عملا لتمويل الإسلامي، سيبقى العملاء بعيدا عن تناول المنتجات الإسلامية (محمد وحنان،2011، ص ص: 656- 657).

ثالثا: مناهج تطوير منتجات الهندسة المالية الإسلامية ومتطلبات تحقيقها

1- مناهج تطوير منتجات الهندسة المالية الإسلامية: تكون مناهج التطوير إجمالا ثلاثة كالتالي:

- المحاكاة لمنتج غير مشروع.
- التحوير لمنتج مشروع.
- تتبع الاحتياجات الفعلية.

1- 1- منهج المحاكاة(التقليد):المحاكاة هي الأسلوب الأكثر ممارسة في واقع الصناعة الإسلامية اليوم، وهي تعني أن يتم سلفا تحديد النتيجة المطلوبة، وهي النتيجة نفسها التي يحققها المنتج الربوي، ثم يتم توسيط سلع ليست مقصودة لا للبنك ولا للعميل، لمجرد الحصول في النهاية على النتيجة المطلوبة، وهي هنا النقد الحاضر مقابل أكثر منه، سواء كان المدين. تعتمد هذه الإستراتيجية بشكل كبير على منتجات مالية شرعية للوصول إلى منتجات جديدة، فيمكن الانطلاق من منتج واحد للحصول على منتج جديد، أو البدء بمنتجين أو أكثر للوصول إلى منتج واحد، تؤدي هذه الطريقة إلى اشتقاق العديد من المنتجات المقبولة والتي يبقى فقط إعادة النظر في جوانبها الشرعية لأنه ليس بالضرورة أن نصل إلى منتج يراعي ضوابط الشريعة الإسلامية حتى ولو كان الأصل حلالا.

1-2- منهج الأصالة والابتكار:يعتمد هذا الأسلوب على القيام بدراسة مستمرة لاحتياجات العملاء ثم العمل على تطوير الأساليب الفنية والتقنية المناسبة لها، ليكون بذلك إستراتيجية لاستقطاب أكبر نسبة من السوق. تعتبر هذه الطريقة أكثر جدوى وإنتاجية رغم تكلفتها المرتفعة والتي تتجه إلى الانخفاض إلى مستوى التكلفة الحدية للمنتجات المالية. من المهم على المؤسسة المالية الإسلامية أن تفرق بين الحاجة والوسيلة، هذه الأخيرة التي تعتبر سببا للوصول إلى الحاجة، فالسلع والخدمات تعتبر حاجة فيما تمثّل النقود وسيلة لتلبيتها (لعمش،2011، ص ص: 93- 94).

1-3- متطلبات تطبيق وتحقيق الهندسة المالية الإسلامية: يوجد أربعة متطلبات أساسية لتحقيق مبادئ الهندسة المالية، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

- الوعي: ونقصد به وعي بالسوق المالي والنقدي وأحواله، أي أن تكون الحاجات التي يتطلبها السوق معروفة لمن يقوم بالابتكار والتطوير للأدوات والأوراق المالية.

- الوضوح: وهو بيان المعاملات التي يمكن أن تؤديها تلك الأدوات التي يتم ابتكارها أو حتى تطويرها وذلك لسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المتلاعبون أو المضاربون لاستخدام تلك الأدوات لتحقيق غايات لم تكن تهدف إليها أصلا أو التحايل على الربا أو القمار.

- المقدرة: ونقصد بالمقدرة أو القدرة وجود مقدرة رأسمالية تمكن من الشراء والتعامل.

- الالتزام: ونقصد به االالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية في كافة التعاملات المالية (حمزة ونعجة، 2013، ص: 8).

رابعا: أهمية الهندسة المالية في تفعيل صيغ المشاركات وإدارة المخاطر المالية

1- أهمية صيغ المشاركات ودور الهندسة المالية الإسلامية في تفعيلها: إن الاقتصاديون والفقهاء المسلمون يرون أن البديل الإسلامي للفائدة المسبقة والثابتة، هو الاستناد إلى آلية الربح الناتجة عن أساليب الاستثمار الإسلامي بصفة عامة والمشاركة والمضاربة بصفة خاصة، وعلى

الرغم من الدعوة إلى ضرورة الاعتماد على صيغ المشاركات في التمويل إلا أننا رأينا بأن هاتين الصيغتين مهمشتين لدى معظم المصارف. ومن هنا تزيد المخاطرة في تطبيق الصيغتين وبدرجة أكبر في صيغة المضاربة نظرا للطبيعة الخاصة لها والمتمثلة بعدم السماح لرب المال(البنك) في التدخل بشؤون الإدارة مع المستثمر.لذلك وحتى يمكن للبنك الإسلامي أن يفعل هاتين الصيغتين المشاركة والمضاربة لابد عليه من العمل على إيجاد حلول للعقبات التي عرقلت تطبيقهما وخاصة تلك العقبات الناتجة عن المخاطر الأخلاقية. وإذا استطاعت البنوك الإسلامية تحقيق ذلك وإعادة هاتين الصيغتين لمكانتهما الحقيقية، ولا يمكن لهذه البنوك أن تتجاوز هذه العقبات إلا بإتباع هندسة مالية قائمة على توجيهات الشرع الحنيف وذلك قصد تفعيلهما لكونهما مهمتين لدفع عجلة التنمية الاقتصادية (غردة، 2014، ص ص: 31- 32).

1- 1- إيجابيات التمويل بصيغ المشاركة: فهاتين الصيغتين-المضاربة والمشاركة-لهما إيجابيات اقتصادية عديدة، يمكن توضيحها فيما يلي(الياس عبد الله، 2007، ص ص: 53-55):

- التمويل بالمشاركة أكثر كفاءة في زيادة نتائج الاستثمار واقدر على تحقيق النمو الاقتصادي من التمويل على أساس المديونية (المرابحة، وبيع التقسيط).

- التمويل بالمشاركة يعمل على تأهيل الكفاءات الإدارية التي تستطيع إقامة المشروعات وإدارتها.

- التمويل بالمشاركة يؤدي إلى حرمان النشاط غير الإنتاجي من التمويل، إلا على نطاق فردي ضيق، ويؤدي أيضا إلى الربط المحكم بين نجاح المشروعات وتمويلها، فتحرم المشروعات الفاشلة من التمويل، وتنتقل الأموال إلى المشروعات الناجحة.

- يمتاز التمويل بصيغة المشاركة بأنه يسهم في إعادة توزيع الدخل، وذلك لأنه أكثر الأساليب التمويلية ملاءمة لتأسيس المشروعات، وهذا سيؤدي إلى زيادة قاعدة الملاك وزيادة نسبة التوظيف.

- يساهم التمويل بالمشاركة في تحقيق الاستقلال الاقتصادي للدول التي تقوم مشاريعها عليه، وذلك عن طريق تأسيس المشروعات الإنتاجية التي تنتج منتجات بديلة عن المنتجات المستوردة.

- يمتاز التمويل بالمشاركة بأنه يساهم في خفض نفقات الإنتاج بسبب إلغاء الفائدة على رأس المال، فضلا عن الأرباح في فترات إنشاء المشروع وعند حدوث الخسائر.

- يتميز التمويل بالمشاركة بتعدد أنواعه، حيث توجد المشاركة الثابتة والمتغيرة والمتناقصة، وهذا يعني إتاحة المجال أمام المنظمين للحصول على التمويل المناسب لمشروعاتهم.

- إن صيغة التمويل بالمشاركة تتفق مع طبيعة الوساطة الاستثمارية للبنك، حيث يقوم البنك باختيار العميل المناسب ويشاركه في أمواله منتظرا حصيلة المشاركة في الربح والخسارة.

1-2- الآثار السلبية لمحدودية استخدام صيغ التمويل بالمشاركة:ينجم عن الاستخدام المصرفي المحدود لصيغ التمويل بالمشاركة آثار سلبية عديدة، نذكر منها ما يلي (إلياس عبد الله، 2007، ص: 58):

- أن البنوك الإسلامية أصبحت غير تنموية، إذ يمكن أن يكون للتمويل بصيغ المرابحة أو غيرها دور رئيس بعملية التنمية، لأن غالبية التمويلات فيها تكون لأغراض استهلاكية بحتة إلا نادرا.

- أن البنوك الإسلامية اتجهت بتمويلاتها إلى الصيغ التي يستطيع العملاء تقديم ضمانات بها، وبالغت في طلبها، الأمر الذي ضيق فرص الاستفادة من التمويل وانحصاره في فئة الاثرياء.

- محدودية العملاء الذين يتمتعون بالخلق الإسلامي والأمانة لتمويلهم بصيغ المشاركة، قد عمل على الاعتقاد بأن جميع العملاء هم مظنة سوء الأمانة، وبالتالي عجزت البنوك الإسلامية عن اجتذاب العملاء الممتازين الذين يتمتعون بالخلق السوي.

2- دور الهندسة المالية في إدارة المخاطر في البنوك والمؤسسات المالية الاسلامية:طالما أن المخاطر هي شيء موجود بوضوح في أي مسألة متعلقة باتخاذ قرار مالي، فإن أي عملية إبداعية متعلقة بتطوير أدوات وعمليات الحصول على حلول في مجال التمويل، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة تسوية عامل الخطر. وعليه يتضح لنا أن هناك علاقة بين الهندسة المالية وإدارة المخاطر المالية، وهذا الأخير يعتبر من المظاهر المختلفة للهندسة المالية المتعلقة بالإدارة المالية.إن هذا المدخل يعتبر أن دور الهندسة المالية يغطي أربعة مظاهر أو جوانب من الإدارة المالية، تتمثل في تمويل المؤسسات المالية والبنوك، والمتاجرة، وإدارة الاستثمارات، وإدارة المخاطر. وبناء على ما ذكرناه سابقا، فالهندسة المالية إذا تساهم في المظاهر الأربع الرئيسة والمتعلقة بالإدارة المالية الحديثة؛ وفيما يخص الجانب الأول والمتمثل في تمويل المؤسسات المالية والبنوك، فالهندسة المالية هنا تساهم في الحصول على الأموال اللازمة لتشغيل المؤسسة أو المنظمة مثل ما تساهم في هيكلة عمليات الاندماج والاستحواذ التي تحظى بأهمية متزايدة في إطار إصلاح بيئة الأعمال العالمية، أما فيما يتعلق بالمتاجرة بالأوراق المالية، فالهندسة المالية توفر أدوات لتطوير استراتيجيات متاجرة مناسبة آخذة بعين الاعتبار الطبيعة الحركية للأسواق.وفيما يخص إدارة الاستثمارات، تلعب الهندسة المالية في هذا الإطار لدى البنوك الإسلامية دورا أساسيا في دعم عملية تصميم وتطوير أدوات استثمارية جديدة، كما تلعب دورا هاما في تحويل الاستثمارات ذات المخاطر المرتفعة إلى استثمارات ذات مخاطر منخفضة.وأخيرا، فإن دورة الهندسة المالية في إدارة المخاطر يتمثل في تأمين الإطار المنهجي المناسب لتصميم تقنيات إدارة مناسبة للمخاطر المالية.

إن الدور الذي تلعبه الهندسة المالية الإسلامية في إدارة المخاطر وايجاد حلول مبتكرة للمشاكل التمويلية، هو دور هام جدا ويعتبر من أبرز الجوانب التي تغطيها عمليات الهندسة المالية (محمد، 2014، ص ص: 21- 24).

3- مزايا تطبيق الهندسة المالية والابتكارات المالية في الصناعة المالية الإسلامية: يحقق تطبيق الهندسة المالية الإسلامية في المؤسسات المالية كثيرا من المزايا، بعضها تستفيد منه هذه المؤسسات ذاتها، وبعضها له أثر على الصناعة المالية الإسلامية ككل. من المزايا التي تتحقق للمؤسسات المالية الإسلامية نجد زيادة قدرتها التنافسية من خلال تلبية الاحتياجات المتزايدة لطالبي التمويل، وبالشكل المناسب، وهذه ميزة للهندسة المالية الإسلامية ليست متوافرة في نظيرتها التقليدية التي تجعل همها تعظيم ثروة الملاك فقط.

كما تتيح الهندسة المالية الإسلامية للمؤسسات المالية فرصة التعامل مع المخاطر التي أصبحت خاصية مميزة للأنظمة المالية كما ذكرنا سابقا، وأيضا من الموضوعات التي يعاد طرحها في كل مرة والتي لها ارتباط مباشر بالهندسة المالية الإسلامية، قضية المشتقات المالية وإمكانية الاستفادة منها في الصناعة المالية الإسلامية. أما المزايا التي تتحقق للصناعة المالية الإسلامية، فنجد الاعتماد على الأصالة والابتعاد عن التقليد الذي يمكن أن يجعل الصناعة المالية الإسلامية مهددة بأن تفقد شخصيتها وتصبح تابعة للصناعة المالية التقليدية.هناك ميزة أخيرة مهمة جدا (أعم من سابقاتها) وهي تقديم رسالة الاقتصاد الإسلامي، وهو في الأصل موجه للعالم أجمع، فالمتتبع لما يحدث في العالم اليوم خاصة بعد الأزمة المالية العالمية الأخيرة يلاحظ أنَّ الاقتصاد العالمي أصبح اليوم يبحث عن بدائل وحلول جديدة، وهو على استعداد لقبولها ما دامت تحقق أهدافه، وبيان ذلك واضح من خلال توجه كثير من الدول الغربية نحو التمويل الإسلامي (عبد الكريم، 2010).

خامسا: نماذج لصيغ تمويلية مبتكرة: يمكن الإشارة هنا إلى بعض النماذج التمويلية التي قام العلماء المعاصرون المتخصصون في الاقتصاد الإسلامي بتطويرها باستخدام أسلوب الهندسة المالية ومنها:

1- نموذج المرابحة: يقوم هذا النموذج على إعادة هندسة بيع المرابحة للآمر بالشراء من خلال عقد المشاركة كما يلي:

- يقوم التاجر الذي ينوي تخصيص جزء من مبيعاته لتكون بالتقسيط بفتح حساب لدى البنك الإسلامي كحصته في حساب المشاركة، ويقوم البنك بإيداع مبلغ مماثل أو يزيد كحصة البنك في حساب المشاركة.

- يقوم التاجر بعملية البيع بالتقسيط ونقل الملكية وكل ما يتعلق بالأمور الفنية لبضاعته، ويتولى البنك متابعة الأقساط والتسديد وكافه الأمور المالية.

– الأرباح التي يجنيها هذا الحساب المشترك توزع بين التاجر والبنك بالاتفاق.

وبهذه الطريقة يحقق البنك عدة أهداف، فهو أولا يقلل التكاليف الإجرائية، ومن ثم يبتعد عن الشبهات الشرعية المتعلقة بالقبض والحيازة، ويكون أيضا مكملا لعمل التجار وليس منافسا لهم.

2- نموذج الوكالة بأجر: ويقوم هذا النموذج على أن تكون علاقة البنك بالمودعين قائمة على أساس الوكالة بأجر بدلا من المضاربة، حيث يعتبر البنك وكيلا عن المودعين في استثمار أموالهم لقاء أجر ثابت أو نسبة من مبلغ الوديعة ذاتها، وهذا المقترح يجعل دخل البنك مستقلا عن مواعيد ونتائج عمليات الاستثمار الفعلية.

3-نموذج سندات الإجارة الموصوفة في الذمة: وهي سندات تجمع بين السند كأداة مالية وعقد الإجارة وعقد السلم، وآليتها أن تكون هناك الخدمة موصوفة في الذمة مثل التعليم الجامعي مثلا بحيث يكون الوصف تفصيلا ولا يدع مجالا للخلاف كأن يكون تعليم طالب جامعي، تتوفر فيه شروط معينة ويحدد له مساق دراسي معلوم بزمنه ومدته ووصفه، بعد ذلك تقوم الجامعة وهي مقدمة خدمة التعليم الجامعي بإصدار سندات خدمة موصوفة، ويمثل السند حصة ساعية واحدة، ولحامل هذا السند الحق في الحصول على الخدمة الموصوفة مقابل ما يدفعه الآن من ثمن للسند الذي يمثل ملكيته للمنفعة، إن هذا المبتكر يحقق ميزة الكفاءة في تعبئة المدخرات وميزة التخصيص الكفء للموارد، وتحقيق السيولة والربحية والضمان لكافة أطراف العلاقة بشكل(هاشم فوزي، ص ص: 6-7).

الخاتمة:

يعتبر الابتكار المالي من أهم المجالات التي تهتم بها إدارات البنوك الناجحة، لأن الابتكار المالي يجعل البنك متواجدا بشكل فعال وكفؤ في السوق المصرفية والمالية، لما فيه من تجديد منتجاته المالية لتلبية الاحتياجات التمويلية المعاصرة. لكن الأهم من ذلك أن تكون لدى البنوك الإسلامية استراتيجيات واضحة وهادفة بهذا الخصوص. وعلى الرغم من إجماع الكل – البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية والهيئات والمنظمات الدولية والجهات المهتمة بهذا المفهوم- على أهمية الابتكار والتطوير المستمر للمنتجات المالية إلا أن هذا الاهتمام لم يترجم حتى الآن إلى منهج عملي تطبيقي يتناسب وأهميتها، فما زالت إدارات تطوير المنتجات بحاجة إلى مزيد من التخصص والمهنية مقارنة مع غيرها من الإدارات في مؤسسات الصناعة التقليدية التي نجدها تولي اهتماما أكبر في هذا الجانب وتنفق مبالغ طائلة لتطوير وابتكار منتجاتها المالية التي تلبي احتياجاتها وتغطي طلب الأسواق.

وبعد توضيح الدور الذي يمكن أن تلعبه الهندسة المالية الإسلامية في ابتكار منتجات مالية إسلامية والحفاظ على تماسك النظام المالي والمصرفي الاسلامي، يمكننا تقديم **النتائج** التالية:

– تبحث الهندسة المالية الإسلامية عن الأساليب والطرق التي يحددها لها الإبتكار من خلال تصميم وتطوير لمنتجات وأدوات مالية من أجل إيجاد حلول لمشكلات التمويل لكن في إطار توجهات الشرع الاسلامي.

– أهم ما يميز المنتجات المالية الإسلامية المبتكرة أنها تجمع بين توجهات المصداقية الشرعية والكفاءة الإقتصادية.

– أن البنوك الإسلامية لا يمكنها أن تكون متميزة،إلا إذا استطاعت أن تحافظ على خصوصيتها بما لا يسمح للبنوك التقليدية منافستها. وهذا ما يتطلب وجود هندسة مالية تمكن البنك الإسلامي من تطبيق مفاهيم مستحدثة لبناء استراتيجية تسمح ببناء ميزة تنافسية قوية ناجحة.

– إن استمرار البنوك الإسلامية في تهميش صيغ المشاركات، واستخدام عقود المرابحة في معظم أنشطتها، وهو ما يفقد هذه البنوك صفة التميز التي طالما تغنت بها.

– إذا تمكنت البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية من إعادة صيغتي المضاربة والمشاركة لمكانتهما الحقيقية، فستكون قد وضعت قدمها في المسار الصحيح الذي ينبغي أن تكون عليه، وذلك لا يكون إلا بإتباع هندسة مالية قائمة على توجيهات الشرع الحنيف قصد تفعيلهما لكونهما مهمتين لدفع عجلة التنمية الاقتصادية.

– للهندسة المالية علاقة وطيدة بالتحوط الذي يقصد به اتقاء المخاطر وتخفيف آثارها حال وقوعها. وبالنسبة للتمويل بصيغ المشاركات فإن المخاطر تتلخص في فوات ربح متوقع، أو الخسارة من رأس المال، ومن هنا تعّرف الهندسة المالية الإسلامية بأنها ابتكار الحلول المالية لمشاكل التمويل، وتنميطها في منتجات تحقق الأهداف التنموية تحت مظلة الشرع الحنيف.

– إن تنمية الهندسة المالية الإسلامية ومنتجاتها لا يتم إلا بتكامل المنظومة التالية :البنوك، المؤسسات المالية، والسوق المالي والبنك المركزي والمتعاملين الاقتصاديين والباحثين والمهتمين بها.

قائمة المراجع:

– أحمد سفر.(2004). العمل المصرفي الإسلامي(أصوله وصيغه وتحدياته)، إتحاد المصارف العربية، بيروت، لبنان.

– سامي بن ابراهيم السويلم.(2007). التحوط في التمويل الاسلامي، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

– سامي بن ابراهيم السويلم.(2000). صناعة الهندسة المالية الإسلامية: نظرات في المنهج الإسلامي،مركز البحوث، شركة الراجحي.

– منير ابراهيم هنيدي.(2003).الفكر الحديث في ادارة المخاطر، الهندسة المالية باستخدام التوريق والمشتقات، دار المعارف للنشر، الاسكندرية– مصر.

– إلياس عبد الله أبو الهجاء.(2007). تطوير آليات التمويل بالمشاركة في المصارف الإسلامية " دراسة حالة الأردن"، رسالة دكتوراه، تخصص: الاقتصاد ومصارف إسلامية، جامعة اليرموك، إربد– الأردن.

– لعمش آمال.(2011). دور الهندسة المالية في تطوير الصناعة المصرفية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة سطيف.

– حمزة علي، نعجة عبد الرحمن(9/8/ديسمبر/2013). الضوابط الشرعية لاستخدامات الهندسة المالية كمدخل لتطوير المنتجات المالية الإسلامية، الملتقى الدولي الثاني للصناعة المالية الإسلامية: آليات ترشيد الصناعة المالية الإسلامية، الجزائر.

– بن ابراهيم الغالي.(6/5 / ماي/2014). دور الابتكار المالي في تطوير الصيرفة الإسلامية، المؤتمر الدولي حول: منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية بين الصناعة المالية التقليدية والصناعة المالية الإسلامية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر.

– عمر ياسين محمود خضيرات.(29 /30 /ماي/2013). دور الهندسة المالية الإسلامية في معالجة الأزمة الاقتصادية والمالية المعاصرة، المؤتمر العالمي للتسويق الإسلامي– اسطنبول– تركيا.

– ساوس الشيخ، بن سويسي حمزة.(ديسمبر2014). دور الأزمات المالية العالمية في تطور الهندسة المالية الإسلامية، مجلة التكامل الاقتصادي، العدد04.

–عبد الكريم أحمد قندوز.(د.ت).الهندسة المالية الإسلامية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد الإسلامي، م 20 ع 2.

– غردة عبد الواحد.(ديسمبر 2014). دور الهندسة المالية في تفعيل صيغ المشاركات في المصارف الإسلامية، مجلة التكامل الاقتصادي، العدد04.

– فتح الرحمن علي محمد صالح.(ديسمبر2002).أدوات سوق النقد الإسلامية – مدخل الهندسة المالية الإسلامية –، مجلة المصرفي، المجلد 26، بنك السودان– الخرطوم.

– محمد الأمين خنيوة.(2011). حنان علي موسى: منتجات الهندسة المالية الإسلامية: الواقع والتحديات ومناهج التطوير، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 12.

- أحمد محمد نصار: استراتيجيات الابتكار المالي في المصارف الإسلامية، جريدة الغد، العدد 36025، تاريخ النشر: 2005/07/29، موقع إلكتروني: http://www.alghad.jo/?news=

– سلطان بنعايض البقمي: المحاسبة المالية وتحديات الهندسة المالية، تاريخ الاطلاع: 2015/04/12، موقع إلكتروني: www.kantakji.com/media/2898/e210.ppt

– الهندسة المالي– عبد الكريم أحمد قندوز: ضعف ة تحد يواجه المؤسسات المالية الإسلامية، المصرفية الإسلامية الإلكترونية، تاريخ النشر: 2010/11/03،موقع إلكتروني:
http://www.almasrifiah.com/2010/02/01/article_342415.html
– هاشم فوزي العبادي: الهندسة المالية بالتركيز على الخيارات نحو سوق مالي/مدخل إسلامي، موقع إلكتروني، تاريخ الاطلاع: 2015/01/01، http://iefpedia.com